

## المجموعات الإباضية في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل

أجوبة علماء الجزيرة والجبل على أسئلة الشيخ أبي العباس أحمد التماسيني أنموذجاً

أ/ ناصر بالحاج

جامعة الوادي

### مقدمة

لا يزال الغموض يكتنف موضوع تراجع المذهب الإباضي، وزواله من مناطق واسعة من المغرب الأوسط، لا سيما منطقة وادي ريغ، التي أنجبت عدداً معتبراً من أعلام المذهب، وشهدت ميلاد حلقة العزابة في بداية القرن الخامس الهجري (سنة 409هـ)<sup>(1)</sup>.

والمخطوط موضوع الدراسة اليوم، من شأنه أن يزيل بعض الغموض حول مرحلة انحسار المذهب الإباضي عن وادي ريغ، فضلاً عن أنه يبين جوانب من الحياة الاجتماعية لإحدى التجمعات السكانية بالمنطقة، وهي واحة تماسين.

أما عن محتوى المخطوط، فهو عبارة عن "أجوبة" لمسائل، أو نوازل في فقه العبادات، والمعاملات، والآداب. ومن خلال الأسئلة المطروحة، نتبين بعض الحثثيات حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمنطقة تماسين، على الأقل، لأنه يُحتمل أن يكون الشيخ أبو العباس (صاحب الأسئلة)، قد استقبل الأسئلة التي وجهها إلى علماء الجزيرة والجبل، من إحدى المناطق الأخرى بوادي ريغ غير تماسين.

### أصحاب الأجوبة

كما جاء في المخطوط، فإن الأجوبة كتبها "أهل الجزيرة والجبل". أما الجزيرة، فهي جزيرة جربة بتونس، وأما الجبل، فهو على الأرجح، جبل نفوسة بليبيا.

وبالطبع فإن المجيبين هنا، هم العلماء من أهل الجزيرة والجبل، والذين اجتمعوا على عادتهم - كما يبدو من النص - للإجابة على الأسئلة الفقهية التي أرسل بها أحمد بن سعيد التماسيني، حيث جاء فيها ما يلي:

(1) - الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: طلاي إبراهيم محمد، ط2، دبت، ج1، ص457.

"اجتمع لذلك البعض دون الكلّ، وفهموا ما فيه من المراد وما يؤول [كذا] إليه مرغوبه المعتاد، والله نسئل [كذا] التوفيق، ونستهديه إلى أيسر الطريق، ونستعينه في أجوبة المسائل والمثل، ونستغفره من الخطايا والزلل".

### تاريخ الأجوبة:

لم يرد في النص تاريخ لكتابة الأجوبة، ولا الأسئلة! لكن من خلال محتوى النص، والقرائن الموجودة فيه، يمكن تحديد تاريخ تقريبي لكتابتها، حيث يُحتمل أنه يعود إلى ما بعد القرن 09هـ، وقبل نهاية القرن 10هـ، وذلك للاعتبارات التالية:

- إحتوى المخطوط إحالة على "عقيدة العزابة"، واضعها غير معروف، أصلها باللغة البربرية، ونقلها إلى اللغة العربية أبو حفص عمرو بن جميع (الجري) (القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي)، هذا المؤلف الذي كان متداولاً بكثرة لدى الإباضية في شمال إفريقيا بشكل واسع، "إذ تحوي ضمنها ما يلزم المكلف معرفته، والتفرقة بين أنواع الواجبات الاعتقادية والعملية، خالية من التعقيد والجدل الكلامي، إلا أن أصلها البربري ما زال في عداد المفقود من مؤلفات المغاربة (...)"<sup>(2)</sup>.

- ذكر المجيبون كتاب "شرح الدعائم"، وهو للشيخ أبي القاسم البرادي<sup>(3)</sup>، وكتابه، شرح لكتاب "دعائم الإسلام"، للشيخ ابن النظر العماني<sup>(4)</sup>.

(2) - أنظر مقدمة التحقيق في كتاب:

اطفيش محمد بن يوسف، شرح عقيدة التوحيد، تح: وينتن مصطفى، جمعية التراث، غرداية-الجزائر، 2001، ص10.  
(3) - أبو الفضل أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي الدمري، (حي في: 810هـ / 1407م)، ولد بجبل دمر في الجنوب التونسي، المعروف حالياً بجبل الحواية. درس في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقى العلم عن شيوخها أمثال: يعيش بن موسى الزواغي الجري، بمدرسة وادي الزبيب بحومة جعبيرة؛ وانتقل بعد ذلك إلى يفرن بجبل نفوسة وتلمذ على الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي (ت: 792هـ/1390م). فأصبح شيخاً وعالمًا فقيهاً. ثم رجع إلى دمر، ومنها إلى جربة حيث بدأ في نشر العلم، فتولّى التدريس بالمدرسة التي تعلّم بها؛ كما تولّى رئاسة حلقة العزابة. وقد ترك البرادي مؤلفات عدّة، منها:

«البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق أسرار معاني كتاب العدل والإنصاف»، لأبي يعقوب الوارجلاني، (مخ) في أصول الفقه. «جواب لبعض أهل الخلاف»، (مخ). «رسالة الحقائق»، في العقيدة (مخ)، منه نسخة بمكتبة إروان. وطبع طبعة حجرية. «فصل في ذكر تآليف أهل المشرق وأهل المغرب»، (مط) ضمن الجواهر. «رسالة في تقييد كتب أصحابنا»، (مط) ملحقاً بموجز أبي عمّار، تحقيق عمّار الطالبلي. وقد ترجمها المستشرق موتيلانسكي. «رسالة في كيفية إنفاق أوقاف المساجد»، (مخ). «شرح الطهارات لكتاب شفاء الحائم على بعض الدعائم»، وهي منظومة لأحمد ابن النظر العماني (مخ). «فتاوى وأجوبة» فقهية وعقدية (مخ). «الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات»، (مط)، وهو في سير أعلام الإباضية، وذكر الطبقة الأولى - التي أغفلها الدرجيني في طبقاته - (1-50هـ). (...). أنظر:

مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية ...، مرجع سابق، الترجمة رقم: 735.

(4) - عاش بين أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين. أنظر:

- واعتبار أن تاريخ الأسئلة لا يتجاوز القرن العاشر الهجري، يعتمد على الرأي القائل بأن المذهب الإباضي لم يبق له وجود في المنطقة بعد هذا التاريخ، فمن خلال رحلة العياشي، الذي مرّ بالمنطقة عام 1173هـ/ 1663م، يستنتج منها أن المذهب الإباضي لم يعد موجودا في تماسين، ولا حتى في وادي ريغ، ما عدا وارجلان. أما عن هذه الأخيرة، أي وارجلان، فإنها أصبحت مع القرن العاشر الهجري تابعة ثقافيا إلى وادي مزاب.

### صاحب الأسئلة

صاحب الأسئلة عَم لا يزال مجهولا لدى الباحثين في التراث الإباضي إلى اليوم! واسمه يتشابه مع علمين من أعلام الإباضية في المغرب الإسلامي، وهما كل من: أحمد بن سعيد بن سليمان الدرجيني، وأحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي. لكن لا يمكن أن يكون صاحب الأسئلة هنا واحدا منهم، وذلك لعدة اعتبارات، كما سيأتي لاحقا، وأهم هذه الاعتبارات، هو المستوى العلمي للأسئلة. وما يمكن قوله في هذه المسألة، ما يلي:

إن كاتب الأسئلة أبا العباس، هو شخص آخر غير معروف بعد، ويبدو أنه من تماسين كما يظهر من نسبته إليها، وهو ليس الشماخي ولا الدرجيني، وظاهرة التشابه في الأسماء هذه كانت سائدة، لدى علماء الإباضية بالمشرق والمغرب، مثلما يؤكد الباحثون المختصون، ومنهم محققا كتاب "غصن البان في تاريخ وارجلان"، الدكتور ابراهيم بن بكير بحاز، والباحث سليمان بن محمد بومعقل، في عرض تقديمهما لكتاب الشيخ ابراهيم بن صالح باباحمو أعزام:

"من الأعمال التي أرهقتنا -فعلا- في التحقيق، التشابه الكبير في أسماء أعلام القرون الهجرية الأولى بخاصة، والذي أحيانا نجده تشابها وتطابقا كليا، في الكنية والاسم واسم الوالد، بل أكثر من ذلك نجد التطابق ليس في الاسم الكامل فقط، بل كذلك يطال القبيلة والبلدة والزمان الواحد أو المتقارب، وهذا ما أوقعنا في كثير من الارتباك والحيرة، كما أوقع الكثير من الباحثين قبلنا، فبقدر ما حاولنا الحسم بعد دراسة وتحقيق وتأن ورويّة في ترجمة بعض المشايخ، وجدنا أنفسنا عاجزين عن ذلك فيما يتعلق بأخرين. (...).

---

هنا بن راشد السعدي، كتاب دعائم الإسلام لابن النظر العماني وشروحه (ق6هـ/2م) نموذج للعلاقات العمانية المغربية، مداخلة في الأيام الدراسية العلمية المنظمة من طرف مؤسسة الشيخ عمي سعيد، بگرداية (الجزائر) والتي كانت بعنوان: "من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي [ت 927 هـ / 1521م] إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد [ت 1425 هـ / 2005م] مسيرة علمية تربوية اجتماعية دعوية رائدة ومتواصلة"، أيام 09-11 شوال 1427 هـ / 03-01 نوفمبر 2006م.

ومن الملاحظ أن هذا التطابق الكبير والمحيّر، لا يقتصر على مشايخ المغرب فقط، بل يتعداه إلى مشايخ المشرق (...). فكان بعض الآباء يتعمدون تسمية أبنائهم بأسماء العلماء والصالحين، من باب التشبه بالسلف الصالح، ورغبة في التآسي بهم<sup>(5)</sup>.

وبالنسبة لعلما هنا، وكما سبقت الإشارة إليه، فإن اسمه يتطابق مع علمين آخرين، دون احتمال أن يكون واحدا منهما، وهذان العلمان هما:

أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني (أبو العباس) (ت: 670هـ / 1271م)، وهو من علماء الإباضية الذين كانوا في وارجلان زما<sup>(6)</sup>.

والعلم الثاني، فهو من أعلام إباضية المغرب، وهو: أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد، بدر الدين الشماخي (أبو العباس)، (و: الأربعينيات ق 9هـ / الثلاثينيات ق 15م - ت: 928هـ / 1522م)<sup>(7)</sup>.

أما التماسيني، فيبدو أنه علم مغمور أو مجهول، وكل ما جاء عنه في نص الأجوبة، ما يلي: "أما بعد، فقد ورد كتاب الحبر النقي، النقي، السري، الأورع، الوجيه، الولي في الله، والأخ في ذاته، أبي العباس أحمد بن سعيد اتماسيني".

(5) - انظر مقدمة التحقيق في كتاب:

ابراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، دراسة وتحقيق: ابراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، دار العالمية، غرداية - الجزائر، جلد 1، الأولى 1434هـ / أبريل 2013م، ص 38.

(6) - "اشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس، واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه، كلهم علماء نحاريين. تلقى تعلمه الأول بدرجين، ثم رحل إلى وارجلان سنة 616هـ / 1219م، وأخذ العلم عن الشيخ أبي سهل يحيى بن ابراهيم بن سليمان لأعوام، ثم عاد إلى موطنه درجين. فقيه ومؤرخ وشاعر، وكان إماما قنوة له قصائد كثيرة وشعر فائق، وله أجوبة بالشعر، والغاز في الفرائض. وقد ذكر في بعض قصائده أنه أشدها قبل البلوغ؛ وجمع بعض قصائده أبو طاهر إسماعيل بن موسى في كتاب الفرائض والحساب. بالإضافة إلى فقهه، وقوة لغته وبلاغته وشعره، فهو مؤرخ من المحققين، لم يكتف بنقل ما سبقه إليه غيره من كتّاب سير الإباضية، وإنما أبدع منهاجاً جديداً في كتابة السيرة الإباضية، وهو منهج الطبقات، إذ وضع في ذلك مؤلفه المشهور: «طبقات المشايخ بالمغرب». أنظر:

مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية...، مرجع سابق، الترجمة رقم: 081.

(7) - "عالم من بلدة يفرن بجبل نفوسة من أعمال طرابلس الغرب، تحول في طور دراسته إلى تطاوين و ثلاث، بجبل دمر في تونس، طالبا للعلم؛ ومن مشايخه: أبو عفيف صالح بن نوح التدميرتي، والشيخ البيدموري، وأبو زكرياء يحيى بن عامر، ونقل كذلك عن فقيه إباضي عماني هو محمد بن عبد الله السمالي.

اشتهر بالتأليف، ولا يعرف له من التلاميذ سوى الشيخ أبي يحيى زكرياء بن ابراهيم الهواري، ولا يستبعد أن تكون له حلقة يدرّس فيها الكتب التي ترك لنا شروحا، مثل: «العدل والإنصاف»، و«مرج البحرين» وغيرهما، وخاصّة عقيدة أبي حفص عمرو بن جميع، التي كانت المقرّر في العقيدة وعلم الكلام عند الإباضية.

صنّف في عدّة علوم، ومن أشهر كتبه: «سير المشايخ»: استطاع أن يجمع فيه سير أبي زكرياء، والمزاتي، والوسباني، والبطوري، وطبقات الدرجيني، وجواهر النيرادي، فكان كتابه هذا جامعا شاملا (...). أنظر:

مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية...، مرجع سابق، الترجمة رقم: 080.

لذا فإن التماسيني، شخص يحتاج للتعرف عليه، إلى جهد بحثي خاص، خاصة وأنه حسب ما جاء في المخطوط، "حبر" أي عالم، ولعله من آخر علماء الإباضية بتماسين ووادي ريغ.

#### الإطار المكاني للأسئلة: "تماسين"

هي إحدى واحات وادي أريغ، الذي كان أحد ربوع المذهب الإباضي في المغرب الإسلامي، فضلا عن: بلاد الجريد التونسي، الأوراس، تيهرت وضواحيها، وارجلان، ووادي سوف، ثم وادي مزاب. وتماسين، كان ينتشر بها المذهب الإباضي على غرار أغلب واحات وادي أريغ، وهو ما تدل عليه الشواهد التاريخية، رغم أن تماسين لم يرد ذكرها في جلّ مصادر المرحلة بهذا الاسم، مثل ما هو الحال بالنسبة لواحات وادي ريغ الأخرى، والتي جاء ذكرها بكثرة في كتب السير الإباضية، مثل وغلانة، غمرة، تيجديت، أجلو، وتينسلي. حيث لم ترد تماسين فيما عدا سير أبي زكرياء، فقد وردت في ذكر زيارة قام بها عام 449هـ العديد من مشايخ الإباضية وطلبهم، لاسيما من جزيرة جربة وجبل نفوسة، وكانوا بزعامة الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، حيث "أرادوا زيارة أهل دعوتهم" في العديد من المناطق الإباضية الأخرى، فانطلقوا من "أفريقية"، ومروا بأسوف (وادي سوف)، "فمكثوا في أسوف ما شاء الله ثم خرجوا منه فساروا حتى وصلوا إلى وغلانة، (...) حتى وصلوا إلى تماسين، فاستعجل المشايخ المسير، فتعلق إليهم أهل البلد في القعود عندهم". وقد عُرفت تلك السنة في التراث الإباضي بسنة الزيارة<sup>(8)</sup>. وهناك من يحتمل أن تماسين كان يطلق عليها اسم آخر !

ومن بين الشواهد التاريخية التي تدل على التواجد الإباضي القوي في تماسين، المنسوخات العديدة للناسخ "يحي بن عنان التماسيني" "من بلاد ريغ" (حي في 864هـ)، والذي نسخ بوادي ريغ العديد من مصادر الإباضية، خاصة مجموع موجود بخزانة دار التلاميذ بمؤسسة الشيخ عمي سعيد بمدينة غرداية، ومما يحتوي عليه هذا المجموع: كتاب "المعلقات" الذي يحتوي على أخبار سير بعض مشايخ بلاد المغرب.

كما أن الشيخ أبا القاسم البرادي (من أهل القرن التاسع الهجري)، في تقييد له لكتب الإباضية (المشاركة والمغاربة)<sup>(9)</sup>، ذكر العديد من المصادر الهامة -المفقودة إلى اليوم- التي رأها في أيدي الطلبة بوادي

(8) - أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي، إصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية، 1979،

ص ص .

(9) - أنظر نص التقييد ملحقا بكتاب:

عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ص ص 281-294.

أريغ، ووجود الطلبة دليل على وجود مشايخ أيضا، وحلّق علم ...، أي أن وادي ريغ خلال القرن التاسع الهجري كان لا يزال عامرا بالإباضية.

### نُسخ المخطوط

#### النسخة الأولى:

توجد في خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالشيخ الحاج بابكر (ت. 1325هـ/1907م)، ورقمها في الفهرس: 78. أما رقمها في الخزانة: بابكر 70.

الناسخ: حسب مفهرس مخطوطات الخزانة، لعله عمرو بن سعيد بن علي الخيري الجربي (النصف الثاني من القرن 10هـ) (من مقارنة الخطوط)، أو هو لأحد معاصريه، مع عدم وجود تاريخ للنسخ.

المواصفات المادية للنسخة: عدد الأوراق 07، عدد الأسطر في الصفحة: 23، مقاس الورق: 15.3x21سم، نوع الخط: مغربي مقروء، لون الحبر: بني، المخطوط كامل غير مخروم.

النسخة الثانية: النسخة الثانية من إحدى مكتبات ورقلة (مكتبة بومعقل الحاج عيسى)، وقد أفادنا بها الأستاذ بومعقل سليمان (حاليا: إطار بمديرية المجاهدين بولاية ورقلة، وباحث في تاريخ ورقلة، من أعماله: تحقيق كتاب "غصن البان في تاريخ وارجلان"، رفقة الدكتور بحاز ابراهيم). وتقع هذه النسخة ضمن مجموع مخطوط مصور، وناسخها هو الشيخ باسه بن عمي موسى الوارجلاني.

### قراءة تاريخية للأسئلة: مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع التماسيني

أغلب الأسئلة التي أجاب عنها علماء الجزيرة والجبل، كانت نوازل فقهية بحتة، حيث اشتملت على مسائل في الصلاة، مثل التوجيه، والتحيات، وعن مسائل في الصوم، وقضائه، وفي الذبيحة، وفي الإهداء. وكذلك بعض المسائل في العقيدة، مثل الإصرار على المعصية، وولاية جملة المسلمين، والتوبة ... وغيرها. ولم تحتو الأجابة على جواب لسؤال في السياسة أو الحرب، ولعل حرص السائل على التحري في المسائل المذكورة، يدل على الحرص على التزام الشريعة في مختلف القضايا.

مما يلاحظ على بعض هذه الأسئلة كما ذكر آنفاً، بساطتها، حيث سأل السائل "عن أمر التوجيه في

الصلاة" مثلاً، وهو ليس بالأمر الذي يغيب عن تراث إباضية المغرب الأوسط !<sup>(10)</sup>

كما سأل عن "التحيات وطلبت شرحها ووضعها من أولها إلى آخرها"، ونفس الملاحظة في المسألة

السابقة تقال على هذه المسألة.

والتزاماً بموضوع هذه الدراسة، سيكون التركيز في له على الجوانب الاجتماعية والتربوية فحسب.

### الجانب الاجتماعي

تُقدِّس، قرائن على وجود ظواهر اجتماعية عديدة، كانت سائدة في المجتمعات

الريغية، وبالخصوص مجتمع واحة تمايين، وهي كالاتي:

استمرار وجود العبودية: المسألة التالية تدل على وجود ظاهرة العبودية، والتي جاءت في سياق قضية

"الوعد"، فقد استفسر السائل عن حكم من أَعِدُّ دون نذرٍ وطُرحت المسألة كالاتي: "وسؤالك عن من قال  
أشترى خادماً فأعتقها من غير أن يقصد نذراً ولا غيره".

ومن المعلوم أن ظاهرة العبودية من الظواهر المنتشرة في مجتمعات وارجلان ووادي ريغ، حيث كان يتم

فيها تبادل العبيد والذهب المحمولين من بلاد السودان، بسلع محلية، لاسيما التمر والأغنام والجمال، وكانت هذه

التجارة جدّ نشطة، بحكم أن وادي ريغ جاء في الطريق التجاري الذي يربط وارجلان بالشمال (بسكرة وبلاد الزاب،

...)، فكان مقصداً للكثير من التجار<sup>(11)</sup>، "وأهم سلعة يوفرها تجار وارجلان لمدن المغرب العبيد. ذلك أن تجارة

الرقيق كانت رائجة خاصة في عهد الدولة الفاطمية حيث كانوا يُستخدمون في الجيش وبعض الأعمال"<sup>(12)</sup>.

وقد ذكر الدرجيني في الطبقات ما يدل على وجود العبيد، وذلك في ذكر غارة قام بها "بعض العرب

على وارجلان فساقوا عدة من الإماء (...)"<sup>(13)</sup>.

أما بالنسبة لحكم الشرع في المسألة حسب المجيبين، فقد كان حكمها نفس حكم مسألة سابقة، والتي

جاءت الإجابة عنها كالاتي: "وسألت عن من قال أتصدق بَعْلَةً نخلة ثم بدا له<sup>(14)</sup> وذكرت عن من قال للسائل أعطيك

(10) - بالنسبة للرسم في نص الأجوبة، فإنه تم تصويب الأخطاء اللغوية التي جاءت فيه، مثل المدود، والهمزة، وغيرها، كما أضيفت الفواصل والنقاط، قصد تيسير الفهم، واسترسال المعنى.

(11) - الإدريسي، المغرب وأرض السودان: مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ص 85.

(12) - مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، مرجع سابق، ص.

(13) - الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر سابق، ج 2، ص 257.

درهما أو نحوه أيلزمه ذلك أم لا، الجواب في ذلك أن سبيل هذه المسائل الثلاث وما جرى مجراها من الوعد سبيل المسألة الأولى".

وفي المسألة الأولى المذكورة هنا، جاء حكم الوعد كالاتي: " وسألت عن رجل قال أصوم سنة ولم يقل لله ولا للنذر، ولم يقل على واجب، ولم يحلف به، أيلزمه ذلك أم لا. الجواب، إن الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن بكر<sup>(15)</sup> رضي الله عنه، ذكر في كتابه المسمى بأفعال العباد، أن من وعد شيئا ولم يستثني ولم يوف بما وعد، فعليه تباعة ذلك إذا كان مالا. وأما عمل البدن فليفعل في مكانه مثل ذلك، وإن تعذر عليه وعد البدن أوعد المال، فإن أحدهما ينوب على الآخر ويجزيه. (...) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد المؤمن دين عليه. ومن كتب اللفظ لأهل المذهب أن من وعد شيئا لأحد ولم يوفي به، فلا يجب عليه شيء مثل أن يقول له تزوج فعلي الصداق، أو حجّ فعلي الزاد، وما أشبه هذا فمنهم من أبطل هذا ومنهم أثبته. ومن قول جميع العلماء أن الوفاء بالعهد من علامة الإيمان والخلف فيه من علامة النفاق لقوله صلى الله عليه وسلم علامة المؤمن ثلاثة إذا حدث صدق وإذا وعد وفا وإذا أوتمن لم يخن وعلامة المنافق ثلاثة إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وأتمن خان وقيل أيضا في كتاب أفعال العباد في الوعد إن لم يلفظ له ولكن عقده في قلبه أن يفعله فانه يكون عليه تباعة إن لم يوف به وقيل بالرخصة فيما عقده في قلبه أن يجزيه الاستثناء فيه".

(14) - تلاه رسم من حرفين، غير واضح في النسختين.

(15) - "أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطاني النفوسي (أبو العباس)، (ت: 10 ذوالحجة 504هـ / 18 جوان 1111م)، عالم فذ من علماء وارجلان، أصله من فرسقاء بنفوسة، وهو ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي مؤسس نظام حلقة العزّابية. كان يقيم في قرية تمولست. أخذ العلم عن أبيه وعن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت: 471هـ/1078م) منذ حداثة سنّه حوالي (440هـ/1048م)، وأبي محمد ويسلان بن أبي صالح، وسعد بن ييفاو في أمسنان بجبل نفوسة، (...). من تلامذته: أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، وصالح بن أفطح، وأبو عبد الله محمد النفوسي، ويحيى بن زكرياء، وعبد السلام بن عبد الكريم، وابنه إسحاق بن أبي العباس... وغيرهم كثير. وهو حلقة في سلسلة نسبة الدين. وقد ذكر الوسياني أنه تصدّى مرتين لغارات عنان بن دليم المطرفي اللطفي على أربع، وفي كلّ مرّة يجمع له أبو العباس بني مغراوة فيهبه مراه تين وبيبو. ومن هنا استنتج المستشرق بيار كوبرلي (Cuperly) أن أبا العباس يعتبر إمام دفاع. وفي السنين الأخيرة من عمره صنّف خمساً وعشرين (25) كتاباً، وكتاباً آخر تركه في الألواح... وتعتبر كتبه كلها من الأمّهات في الشريعة الإسلامية على المذهب الإباضي.

من تأليفه الكثيرة نذكر: كتاب «القسمه وأصول الأرضين»، في ثمانية أجزاء، طبع بسلطنة عمان بتحقيق الدكتور محمد ناصر والشيخ بلحاج بكير باشعادل، ثم أعيد طبعه في الجزائر، نشر جمعية التراث. كتاب في التوحيد «مسا لا يسع الناس جهله»، وغير ذلك من مسائل التوحيد (مخ)، منه نسختان بجزيرة ذكرهما النامي. «السيرة في الدماء والجراحات»، (مخ). «كتاب النيات»، (مخ). «تبيين أفعال العباد»، في ثلاثة أجزاء (مخ). «كتاب الألواح»، وهو الكتاب الذي تركه في الألواح قبل وفاته مباشرة (مخ). اشترك في تأليف «ديوان العزّابية» مع ثمانية من العلماء وأسند إليه كتاب الحيض وغيره، (مخ). هذه الكتب وغيرها مما ضاع كثيره لا يزال البعض منها موجوداً، وبعضها في أيدي الأساتذة للتحقيق والدراسة، وبعضها رآه البرادي وذكره ولم يصل إلينا. توفي بتصوّات باربع بعد أخيه أبي يعقوب يوسف الزاهد وذلك يوم الخميس في ضحوة عرفة من شهر ذي الحجة من عام 504هـ/1111م. وقبره في أجلو الغربية، ولعلها تين ينسلي، وهي قرب بلدة أعمر اليوم بناوحي تقرت جنوب شرق الجزائر. أنظر:

مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية...، مرجع سابق، الترجمة رقم: 089.



في التحية: يبدو أن أهل تماسين، وبحكم كونهم أمازيغ، كان يسود بينهم إلقاء السلام باللغة الأمازيغية، وهو ما استهجنه الشيخ أبو العباس على ما يبدو، حيث جاء في الأجوبة ما يلي: "وذكرت رجلا حياها آخر بكلام أعجمي، كما قالت الأعراب أنعمت صباحا، أو أنعمت مساء، أيطبق عليه رده أم لا".

من خلال الجواب على هذه المسألة، يبدو أن القضية لم يكن فيها حرج كبير بالنسبة للمجيبين! ولعل تفسير ذلك هو أن كلاً من جربة ونفوسة، منطقتان أمازيغيتان، ربما كانت تسود فيهما مثل هذه المظاهر، وقد جاءت الإجابة عن المسألة كالتالي:

"الجواب أن التحية التي فضل الله بها هذه الأمة هي التي قال الله تعالى فيها وإذا حُيِّبتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، وهي السلام عليكم، هكذا بالعربية. وقوله بأحسن منها أو ردوها، عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وأما قوله أو ردوها، يعني السلام عليكم، وهذا السلام ابتداءه سنة وردّه فريضة. وأما ما ذكرت من أنعمت صباحا وما يشبهه، فمعناه الدعاء من الأخلاق الحسنة التي تكون بين العامة والخاصة، فعلى المرء أن يرد ما يقصده به، وإن لم يرد فلا نرى عليه بأسا والله أعلم".

في الدِّين: الدِّين، "هو كل حق ثبت في الذمة"<sup>(16)</sup>، سواء تجاه الله أو تجاه العباد. وتعتبر الديون واحدة من مظاهر المعاملات الاقتصادية الشائعة بين الأفراد في المجتمع، وينتج الدين خاصّة عن الحاجة اليومية للمال لقضاء المصالح، وكذلك عن المعاملات التجارية المختلفة في المجتمع، خاصّة في مجال التجارة أو غيرها من مجالات الاقتصاد، حيث يتم اللجوء إلى اقتراض الأموال لتوظيفها. وفي المسألة التالية إحدى صور المداينة التي كانت تقع بين الناس في المجتمع التماسيني:

"وسألت عن رجل كان عليه دين لآخر، فعل [كذا] المديان يواصل صاحب الدين بخيره وطرفه ومعروفه، حتى واصله مثل دينه أو أكثر منه فقال صاحب الدين لمدايناه [كذا] إلزم ذلك الذي وصلتني به في مالي عليك من الدين. فقال له المديان وصلك من مالي أكثر من مالك عليّ، فتحاسبنا، فوجدنا قول المديان صحيحا، هل يلزمه الفضل الذي كان فوق ماله أم لا. الجواب أن كل ما وصله من مال غريمه يلزمه كله، سواء كان أكثر من ماله أو مثله أو دونه، لا فرق في ذلك عند العلماء".

(16) - مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- سلطنة عمان، 1429هـ / 2008م، ج1، ص 398.

حسبما يبدو من هذه المسألة، فإن المعاملات المختلفة التي كانت تقع بين الناس، كانت تُدَوَّن وتوثَّق - وهو مما يوصي به الشرع- وإلا فكيف استطاع المتعاملان في القضية المعروضة هنا أن يتحاسبوا، ويثبت المدين لصاحب الدين أنه قد سدّد دينه وأكثر؟ لكن للأسف تعوزنا الأدلة على طرق التوثيق الساندة؟

**في الصداق:** الصداق كما يبيّنه القطب اطفيش في "باب الصداق" في كتاب "شرح النيل"، واعتماداً على ما جاء في السنّة: "(...) والذي عندي أنّ الصداق للجماع لقوله (ص): "استحلّوا فروج النساء بأطيب أموالكم" [رواه يحيى بن عمر] مرسلًا"<sup>(17)</sup>.

والصداق شرط أساسي من شروط عقد الزواج، حيث جاء في كتاب النيل: "وعنه (ص): "لا طلاق إلا بعد نكاح، ولا عتاق إلا بعد ملك، ولا نكاح إلا بوليّ وصداق وبيّنة" [رواه أبو عبيدة عن جابر عن ابن عباس] فقيل في مثله: معناه أنه لا يصحّ عقد النكاح إلا إن ذكر الصداق وفرض فيه"<sup>(18)</sup>.

يبدو أن الصداق بتماسين، لم يكن يُقدّم دفعة واحدة، بل على أكثر من دفعة، على غرار العديد من مناطق المغرب الإسلامي الأخرى، وما يثبت هذا، ما جاء في إحدى المسائل: "وسألت عن رجل استمسكت به زوجته في صداقها، فقال لها وصلك من مالي أكثر من صداقك علي، وقالت له خدمتك أكثر من ما وصلني من مالك. الجواب، أنها ليست بمنزلة الغريم فلا يضرها ذلك، إلا إن سماها لها، وبين له قضاء في الصداق، أو يتأمنها عليه فخانتها، مما أكثر من نفقتها فذلك تباعة عليها. وأما خدمتها له فلا تلحقها عليه إلا إن كرهها".

يتمثّل الغرض من وراء تأجيل دفع قسط من الصداق، تيسير الزواج، والتخفيف من تكاليفه، وتقوية العلاقات الزوجية، ولكنه من جهة أخرى، قد يكون سبباً من أسباب من الخصومات التي كانت تقع بين الأزواج، والتي يكون سببها في الحالة التي أمامنا، عدم وفاء الزوج بتسديد كامل صداق زوجته.

**في الاستطباب:** فضلاً عن المظاهر الاجتماعية المذكورة، فإن إحدى المسائل تكشف عن طرق للاستطباب، كانت شائعة في مجتمع تماسين، وهي "الحجامة والفسادة والكّي"، ولكن يبدو أن الاستطباب بها لم يكن يحدث دون وقوع مشاكل، أو لنقل "أخطاء طبيّة"، لذا كان من بين الأسئلة التي طرحت على الشيخ أحمد التماسيني حول حكم الشرع في القضية، وجاء السؤال كالاتي: "وسألت عن أمر أن يحتجم أو يفصد أو يكوي، هل يسعه ذلك أم لا؟ فإن فعل فأصابته مضرة هل يلزمه ضمان في ذلك أم لا؟ فإن لزمه الضمان، فلن يدفع الدية؟ الجواب أن الحجامة قد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم، وذكر بن بركة العماني أن في هذا الخبر دلالة على أن للمحرم أن يتعالج بما شاء في إحرامه بالأدوية وبط الجراحات وقلع السن إذا اشتد داؤه

(17) - اطفيش محمد بن يوسف، شرح كتاب النيل وشفاء العليل، وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان، 1407هـ/1987م، ج6، ص 143.

(18) - اطفيش محمد بن يوسف، شرح كتاب النيل ...، مصدر سابق، ج6، ص 144.

وما جرى مجرى ذلك، فكما جاز هذا للمحرم فغيره أولى بفعل هذا. والفصادات ضرب من الحجامة، وكذلك ففيه الترخيص في جواب المشايخ رضي الله عنهم، لأن ذلك من وجوه الاضطرار، وقد قيل عن رسول الله في شفاء أمتي ثلاثة، آية من كتاب الله، وشرطة من حجام، ولعقة من عسل، وقيل والكيفة. وهذا يدل على أن الكيفة جائزة لمن اضطر إليها. وأما ما ذكرت من أمر الضمان في من جرح نفسه، أو كواها من غير ضرورة، فلمن يدفع ما لزمه من دية نفسه. الجواب بأن في ذلك اختلافا بين العلماء، منهم من يقول يعطي ديته لورثته في حين ذلك، ومنهم من يقول ينفق ذلك يوم يموت، ومنهم من يقول ينفق ذلك على الفقراء، ومنهم من يقول يتوب إلى الله وليس عليه شيء".

### القيمة العلمية للمخطوط

يكتسي المخطوط موضوع الدراسة، أهمية بالغة، بالنسبة لتاريخ منطقة وادي ريغ، وتاريخ المذهب الإباضي به خصوصا، وتاريخ المغرب الأوسط عموما، وذلك على مستويات مختلفة، ويمكن تحديد هذه الأهمية في بعض النقاط التالية:

#### أولا: التأريخ لنهاية المذهب الإباضي بأريغ

شكل وادي ريغ خلال العصر الوسيط، إحدى معاقل المذهب الإباضي، حيث نشأ بأريغ عدد من علماء المذهب، على سبيل الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الفرستائي (ت. 504هـ / 1111م)، صاحب أحد أهم المؤلفات الإباضية، كتاب "القسمه وأصول الأريسين". وهو ابن مؤسس حلقة العزابة، مولود بتمولست بأريغ، ومتموفى بتصوانت، قبره بتين يسلي بأجلو.

من خلال النظر في محتوى الأسئلة، فإن أول تساؤل يتبادر إلى الذهن، هو المستوى العلمي لبعضها، وكيف أن أصحابها لجؤوا إلى إخوانهم الإباضية في كل من جربة ونفوسة، للإجابة عليها، وهي ليست بالمسائل المعقدة! هذا ربما، يعتبر من أدلة ضعف، وتراجع المذهب الإباضي بوادي ريغ عموما، وتماسين خصوصا.

ولعل استدلال المجيبين عن الأسئلة، بمؤلفات إباضية المغرب الأوسط عموما، ووادي ريغ ووارجلان خصوصا، فيه إشارة منهم إلى التراث الهام الذي خلفه علماء هذه المنطقة، وهو التراث الذي لا ينبغي أن يندثر ويُهمل من طرف خلفهم.

وقد أحال المجيبون السائل إلى العديد من المصادر الإباضية التي يعود أغلبها إلى علماء المغرب الأوسط، بل إلى علماء الإباضية الذين من وادي ريغ، حيث أشاروا إلى "ديوان العزابة"، والذي ألفه عدد من العلماء في وادي ريغ في القرن الخامس الهجري (11م)، ويقع في خمسة وعشرين كتاباً<sup>(19)</sup>.

كما أشاروا إلى "عقيدة أصول الدين"، وهي المعروفة بـ"عقيدة التوحيد"، أو "عقيدة العزابة"، كما استشهد المجيبون بقول للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، في مسألة حول نذر الصوم: "إن الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن بكر رضي الله عنه ذكر في كتابه المسمى بأفعال العباد (...)" وهذا أحد علماء الإباضية الأقطاب، الذي سبق تعريفه.

وبالتالي يمكن القول، بأن هذه الأسئلة تؤرخ لمرحلة هامة جداً تاريخياً، تقل عنها المصادر التاريخية، وهي مرحلة انتهاء التواجد الإباضي بوادي ريغ.

وفي هذا الصدد، يبدو أن المذهب الإباضي، كان في تراجع منذ القرن التاسع الهجري، حيث توجد رسالة من عزابة جربة، أرسل بها الشيخ يعيش بن موسى الزواغي الخيري الجربي (أبو البقاء)<sup>(20)</sup>، إلى إباضية أريغ، يلومونهم فيها على تقصيرهم في شؤون المذهب<sup>(21)</sup>.

### ثانياً: الحرص والتحري في أمور الدين

على الرغم من تواضع مستوى بعض الأسئلة، إلا أنها تدل من جهة أخرى على التحري في أمور الدين والحرص عليها، حيث سئل المشايخ "عمن قال لغير المتولي أجزك الله، أو غفر الله لك ولم يقصد بذلك ولايته،

(19) - مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- سلطنة عمان، 1429هـ / 2008م، ج1، ص393.  
(20) - (ت: 10 شوال 787هـ / 1385م)، "نشأ في بلده بجبل دمر، جنوب تونس. ولّى وجهته إلى جربة ليتلمذ على الشيخ صالح بن نجم المغراوي. هو الذي نقل الحركة العلمية بجربة إلى جامع وادي الزبيب، فسانها مدة وجوده بها، واستمرت بعده، وتولّى رئاسة العزابة بها. تخرّج على يديه الشيخ أبو القاسم البرادي صاحب الجواهر، وسعيد بن أحمد السديكيثي. أنجب ابناً عالمًا اسمه أبو عمران موسى بن يعيش. كما ترك آثاراً مدونة، منها: «جواب أبي الحياة يعيش الجربي لبعض مخالفيه في التيمم»، (مخ)، منه نسخة بمكتبة آل أفضل. «رسالة إلى طلبه أريغ» يلومهم على تقصيرهم في طلب العلم، وتوجد منها نسختان في مكتبة الشيخ ميثاق، وآل أفضل ببني بسجن". أنظر:  
مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية...، مرجع سابق، الترجمة رقم: 1038.

(21) - رقم الرسالة في الفهرس: 362/ رقم الحفظ في الخزانة: م41.

معلومات النسخ: [ أحمد بن عيسى بن الحاج عبد الله بن عيسى بن عبد الله المصعبي التجنيبي / حوالي: 966هـ ]

المواصفات المادية: 29 / ق / 29 / س / 153 × 214 مم / ن. مغربي جيّد / الحبر أسود وأحمر / كاملة.

الرسالة هي السابعة ضمن مجموع به 126ق؛ وتقع من 37ظ إلى 38ظ. في الرسالة لوم وعتاب، وبلهجة حادة، على التقصير في طلب العلم، ثم استنهاض وشحذ للهمم. أخذت معلومات النسخ من آخر حاشية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني المالكي، في 33و؛ ملاحظة: بحواف الورق تاكل.

فالجواب، أنه ليس عليه شيء". ومعروف على الإباضية حرصهم على مبدئى الولاية والبراءة. أما الولاية، فهي "من أصول الدين عند الإباضية، تعني المحبة في الله تعالى بالقلب، مع تمثّل المعاني اللغوية، على أن تكون كلها مبنية على أساس الموافقة على الشريعة، فيبذل المسلم لكل من يوافق في الشريعة هذه الشريعة والالتزامات، إضافة إلى الدعاء له بخير الدنيا والآخرة"<sup>(22)</sup>.

والبراءة "هي البغض في الله بالقلب لمن ثبت ارتكابه للكبيرة، وعدم الاستغفار له وعدم الدعاء له بخير الآخرة، وهي من الأصول العقديّة المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وقد عني بها الإباضية في مؤلفاتهم العقديّة (...) ولا تكون البراءة إلا بعد الإعذار والاستتابة من محرّم (...) وتترتب عنها أحكام متفاوتة على حسب درجة المعصية منها: الابتعاد عن العاصي، وتخطئة أفعاله، التشهير به، وهجرانه، وتخلي المسلمين عن محبته، مع جواز لعنه عند البعض، حفاظا على الدين من انتهاك حرّماته"<sup>(23)</sup>. وللبراءة دور كبير في زجر الناس عن المعصية، نظرا لما فيها من الشدة، والعزل عن الناس، وهي تسلط على من يتعدى على حق غيره، أو يطعن في الدين، أو يرتكب فاحشة.

وفي نفس السياق أي التحري في أمور الدين، سأل السائل "عمن قتل ذرة أو نملة، ما يلزمه في ذلك، الجواب أن النملة والذرة وما يدب على الأرض مما جاء فيه النهي عن قتله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ديته درهم عند أصحابنا، وقيل في الضفدع أن ديته نعجة، وأما ما يطير نحو الخطافة والصرد والنحلة فديتهما درهما".

ونفس الأمر بالنسبة لمسألة أخرى، وهي "عمن تعزى في داخل البيت في نهار فلم يره أحد ومن تعر بليل أضره ذلك أم لا. الجواب أن ليس عليه في الليل بأس، وأما بالنهار فلا يفعل ذلك فإن فعل فإنه عاص (...)"

ثالثا: جزيرة جربة وجبل نفوسة: مرجعية إباضية المغرب الأوسط

مما تكشف عنه الأجوبة كذلك، أن المرجعية العلمية الأولى لإباضية المغرب الأوسط في هذا العهد، كانت جزيرة جربة، ثم جبل نفوسة، ويبدو من خلال ديباجة الأجوبة، أن أهل تماسين ووادي ريغ عموما، دأبوا على مراسلة عزابة وعلماء كل من جربة ونفوسة. ومن جهة أخرى، تؤكد الأسئلة موضوع الدراسة، حقيقة تاريخية مهمة جدًا، وهي أنّ علماء الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي، كانوا يعقدون اجتماعات، يتناولون فيها مختلف

(22) - مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، مرجع سابق، ص 1103.

(23) - مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، مرجع سابق، ص 100.

القضايا الطارئة التي تفرزها الحياة اليومية للناس، فقد كان العزابة يلتقون لبحث المسائل المشتركة والنوازل المستعصية، مثلما يظهر من خلال ما أورده الشيخ التعاريفي عن انعقاد مجلس علمي بين فقهاء جربة وجبل نفوسة للنظر في مسألة الإشهاد بشاهد عدل في عقود الأحياس والصدقات والبيوع والرهن، وقد وقع هذا المجلس بمدينة نالوت بجبل نفوسة سنة 1103هـ / 1691م، بحضور الشيخ نصر بن خميس بن سعيد العماني الذي كان في زيارة إلى إخوانه المغاربة. كما يذكر الشيخ علي يحي معمر أنّ هذا المجلس انعقد في القرن 11هـ / 16م، بحضور علماء وادي مزاب ووارجلان وجربة ونفوسة وعمان<sup>(24)</sup>. وقد كان لهذه الاجتماعات الأثر الإيجابي الكبير على المجموعات الإباضية، حيث كان من عوامل استمراريتها، فكلما ضعف قطر من أقطار الإباضية، تداعت له الأخرى بالدعم والمؤازرة، وهم على هذا الدرب إلى غاية اليوم والحمد لله...

#### خاتمة

في الأخير لا يمكن سوى التنويه بأهمية المخطوط موضوع الدراسة، ورغم عدم التأكد الدقيق من الحقبة الزمنية التي كتبت فيها الأسئلة، إلا أن الأكيد، أنه يؤرخ لفترة حساسة جدا متعلقة بمنطقة وادي أريغ عموما، وتماسين خصوصا، ولو أن هذه الأخيرة كان مصيرها مصير مختلف واحات وادي أريغ، حيث تراجع وانقرض المذهب الإباضي فيها، ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى معرفة أسباب هذا التحول الذي عرفته المنطقة.

(24) - مجلس الفتوى للهيئة الدينية للمسجد الكبير بغرداية، ملامح عن مسيرة الفتوى بوادي مزاب ...، مرجع سابق، ص 03.